

وهذا إذا جرينا على أن آيات كل سورة مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها كأنها جملة واحدة، منسقة المعاني، منتظمة المباني، فإذا جرينا على ما يذهب إليه بعض المفسرين من أنه لا ارتباط بين آيات السور القرآنية، كان الاستبعاد أظهر في القسم الثالث السابق، وهو السور التي بعضها مكّي وبعضها مدني، لأنه إذا لم يكن هناك ارتباط بين آيات السور لم تكن هنا سورة مكية ممتنعة على ما يوضع من الآيات المكية في السور المدنية، وكذلك الأمر في عكس ذلك، فلا يكون هناك حاجة لوضه أحدهما في الآخر.

ولكن يجب قبل أن نأخذ في التفصيل السابق أن نذكر أولاً خلافهم في حقيقة كل من المكّي والمدني من السور، لأن هذا الخلاف يفيدنا كثيراً في التفصيل. وللعلماء في المكّي والمدني من السور اصطلاحات ثلاثة: أشهرها أن المكّي ما نزل قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة، ولو نزل في مكة بعد فتحها، وعلى هذا يكون ما نزل في طريق الهجرة إلى المدينة قبل الوصول إليها من المكّي. وثانيها أن المكّي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وثالثها أن المكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة ولو نزل بالمدينة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ولو نزل بمكة. ويجب أن نذكر قبل هذا التفضيل ثانياً أنه يرجع في معرفة المكّي والمدني من السور إلى حفظ الصحابة والتابعين، لأنه لم يرد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله تعالى عليم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة الناسخ من المنسوخ، لأن ما نزل من ذلك بمكة يكون متقدماً، وما نزل بالمدينة يكون متأخراً، على ما هو الأشهر من الاصطلاحات الثلاثة السابقة، والمتأخر هو الذي ينسخ المتقدم، لأن معرفة هذا قد يكون بغير نص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أي بالأجتهد في سياق الآيات وحظها من مميزات المكّي والمدني، وحينئذ لا يكون النص عليه واجباً.

ويجب أن نذكر قبل هذا التفصيل ثالثاً أن لهم ضوابط في معرفة المكّي والمدني من السور، وأنهم مختلفون في هذه الضوابط، وأنها قائمة على اجتهادهم، ولم يرد فيها نص يقطع الخلاف فيها بينهم، فأخرج الحاكم في مستدركه، والبيهقي في الدلائل، والبخاري في مسنده عن علقمة عن عبداً قال: ما كان ((يأياها الذين آمنوا)) أنزل بالمدينة، وما كان ((يأياها الناس)) أنزل بمكة، وقيل: ما كان في القرآن ((يأياها الناس)) أو ((يا بني آدم)) فإنه مكّي، وما كان ((يأياها الذين آمنوا)) فإنه مدني، قال ابن عطية وغيره: هو في ((يأياها الذين آمنوا))

صحيح، وأما ((يأيتها الناس)) فقد يأتي في المدني، كما في سورة النساء، فإنها مدنية، وأولها: ((يأيتها الناس)) وكذلك البقرة مدنية، وفيها: ((يأيتها الناس اعبدوا ربكم))، ((يأيتها الناس كلوا مما في الأرض)) وكذلك في كثير من السور المكية ((يأيتها الذين آمنوا)) فلا يكون صحيحاً أيضاً.